المبزّات الدينيّة لحلب القديمة

بقلم

الاستاذ صبحي صواف

عرفت حلب منذ الألف الثالث ق.م حيث ذكرت في عهد ريموش الأكادي باسمها الحالي « حَلب » وقد ذكر آنذاك اسم أحد ملوكها ، لوكال اوشومكال ، كاهن ملك حلب [1] . إذن فقد كانت حلب الحالية منذ ما يقارب الخمسين قرناً عاصمة ذات مركز ديني . ويغلب على الظن أن إله حلب هو الذي ذكر مراراً في الألف الثاني محاطاً بالتمجيد وهو « حدد » الاله السامى القدير رب الصاعقة والمطر والجبال العالية .

وكانت الالهة عشتار الحلبية تتبوأ في هذه المدينة وفي غيرها مكانة خطيرة أيضاً . وقد سميت في حلب ابنة الاله سين وسيدة القتال . وكان لها شهرة ذائعة ويتوسل إليها الملوك ويعتزون بها . وقد وجد في لرسا (سنكره) رقيمان يرجع عهدهما إلى « وردسين » (٢٠٤٧— ٢٠٣٦) ق.م ، ملك لرسا ابن كودورمابوك الفاتح العيلامى . وفيهما ان الملك وردسين بنى معبداً ورمم آخر اكراماً واجلالا لعشتار الحلبية .

والرقيم الأول من الآجر المطبوخ وهو اسطواني الشكل ، وقد جاء فيه ما نصه : « إلى عشتار الحلبية سيدتي ، أنا ورد سين ملك لرسا ، من أجل حياتي وحياة كودورمابوك أبي الذي انجبني ، بنيت في قدس أقداس (الآلهة) ، النقي ، مسكنا لنبلها ، ورفعت قمته كجبل عال عساها تقر عيناً بعملي هذا . وعساها تهبني حياة (و) أياماً طويلة [2] » .

---

(١) G. Barton : *The royal inscriptions of Sumer and Akkad - Dynasty of Agad and Kish* — New Haven 1929 ص ١٢٣

(٢) G. Barton : *The royal inscriptions of Sumer and Akkad - Dynasty of Larsa* — New Haven 1929 ص ٣٢٣

والرقيم الثاني من البرونز . وهو مستدير الشكل ، وكان قاعدة ترتكز عليه سلة ، وقد جاء فيه ما نصه : « الى عشتار الحلبية الابنة البكرلسين (اله الوقت) سيدتي أنا وردسين ملك لرسا من أجل حياتي وحياة كودورمابوك ابي الذي أنجبني رممت معبدها المقدس اذا ك... مسكناً لنبلها السامي الذي لم يسبق لأجدادي أن رمموه ، وأعدت معبدها المقدس المنصوب لحماية الأرض كجبل عال ترتفع نحو قمته العين (وذلك) على المخطط الممتاز (الذي صنعته) يدي اليمنى . عساها تلقي نظرة استحسان ، وعساها تعطيني ملكاً فخماً سنين تفرح القلب وعساها تمنحني هبات بفخار »(١) . ولا شك أن تمجيد عشتار الحلبية في مدينة لرسا السومرية في عهد الفاتحين العيلاميين الساميين كودورمابوك وولده وردسين دليل قاطع على شهرتها ومكانتها الكبرى بين الآلهة المعروفة . ولِمَ لا ؟ وهي المعبودة الشهيرة ابنة سين (القمر) . ربة الحب واللذة والخصب والحرب والماء الخ... وكانت عشتار تمثل بنجمة الزهرة .

أما حدد فلدينا وثائق عديدة تتحدث عنه وتشيد باسمه . وكان الملوك والجماهير يفدون على معبده من كل الأقطار ليضعوا الهبات على أقدامه وينالوا عطفه ورضاه وبركاته .

ووجد معظم الرقم التي تذكر هذا الآله في ماري (تل حريري الحالية) . ومنها علمنا أن ابن ملك أوغاريت (رأس شمرا الحالية) حج الى حلب ، ومثله ملك قطنة (المشرفة الحالية بين حمص والسلمية) . أما زمري ليم ملك ماري فقد حج الى حلب مراراً وقدم هبات سنية الى الهها حدد .

ومنها أنه حمل بنفسه الى حلب تمثاله المصنوع من البرونز والمرصع بالفضة (والمعروف ان تماثيل الأشخاص الرمزية كانت توضع في معبد الآله المراد نوال عطفه لكي ينظر اليها دائماً ويتذكر أصحابها ويمنحهم بركاته وعطفه) .

وقد أخذ زمري ليم البرونز والفضة اللازمين لصنع هذا التمثال من معبد الآله دجن (آله القمح) في تركة (العشارة الحالية على الفرات شمالي ماري) حيث كان يوجد معبد كبير وشهير لهذا المعبود ، وذلك لأن الملك المتقدم كان يعتبر كالكاهن الأكبر لهذا الآله ، ويحق له التصرف كما يشاء بأموال المعبد الذي يديره بمهارة وأمانة .

---

(١) G. Barton : *The royal inscriptions of Sumer and Akkad -Dynasty of Larsa* — New Haven 1929. ص ٣٢٣

ووجد رقيمان آخران يتحدثان عن كميتي البرونز والفضة اللتين استعملتا في صنع هذا التمثال وتلبيسه . وإليكم نص الرقيم الأول الذي يشير الى كمية البرونز : « أن ٢٧ وزنة mine و ٥/٦ الوزنة من البرونز من مال الاله (دجن) في تركه (العشارة) قد استخدمت في تمثال الملك الذي سيذهب الى حلب (١) . أما الرقيم الثاني فيتحدث عن الفضة التي استعملت في تلبيس هذا التمثال البرونزي وهذا نصه : « ان نصف وزنة ومثقال sicle و ١/٦ المثقال من الفضة قد استعملت في تلبيس تمثال الملك الذي سيذهب الى حلب » (٢) . ولا يخفى ان الوزنة mine كانت تعادل ما يقارب نصف كيلوغرام او (٤٩١ غرام) على وجه الضبط ، وتقسم الى ستين مثقالاً sicle .

ولم تقتصر الصلات بين ماري وحلب على ما تقدم . اذ أنه كان يشخص الى حلب أناس كثيرون . ومن جملتهم طفل مريض من أسرة وجيهة جيء به اليها للاستشفاء ومعه ثلاث ممرضات وثلاث مرضعات . وكان لوالده شمش ناسيير Šamaš Nasir علاقات ودية مع ملك ماري زمري ليم . وتذكر رسالة موجهة الى زمري ليم من أحد موظفيه الذي صحب هذا الطفل الى حلب ما يلي : « انني وصلت حلب من أجل الصغير ، ابن شمش ناسيير ، ابي-لي-شا E-bi-li-sha كلمني هكذا : [ان يد الله تضغطه مرة ومرتين عندما كان يمكث عند الملك ، انه التقط (بيد الله) وحولي لم ازل اسمع (التكلم) بهذا التعبير في ماري .... الأسطر الخمسة محطمة ولم يبق منها سوى هذه الكلمات : « يد الله تبعدها » . ثم تنتهي الرسالة بالعبارات التالية : « المرضعات الثلاث والممرضات الثلاث لم يبق لهن ثياب ، على سيدي أن يرسل ثياباً وأحذية » (٣) . وعلى هذا فانه كانت للاله حدد صفة شفاء المرضى . ولا يخفي انه كان يكشف المستقبل وقد لقب من جراء ذلك هو والاله شمس بسيدي الغيب . وقد أم حلب ملوك وأناس كثيرون لاسترضائه ثم للاستخارة والكشف عن الغيب . وشخص مراراً زمري ليم ملك ماري اليها لهذا الغرض . وها هو ذا نص رسالة في رقيم وجهها الملك لأحد موظفيه :

(١) G. Dossin : Syria 1939 fasc II : Les archives économiques du palais de Mari ص ١٠٧ .

(٢) انظر المصدر السابق أيضاً .

(٣) C. F. Jean : Revue des études sémitiques 1939 fasc II : Excerpta de la correspondance de Mari. ص ٦٨

« الى كيبهيليم قل هذا ، هكذا يتكلم سيدك : سابقا عندما صعدت الى حلب ، بشأن المعلومات صحراء كركميش انهـا تأكدت (١) .

وقد ارسل زمري ليم أحـد موظفيه الى حلب لاستخارة حدد في مهمة فكتب الموظف الى سيده رقيماً يعلمه باتمـام عمله وهذا هو نص الرقيم : « حسب امر سيدي في شهر ... انني ذهبت الى حلب واستخرت » (٢) .

ويدلنا وجود الآله حدد كاشف الغيب وشخوص الملك زمري ليم وارسال موظفيه للاستخارة على المميزات الدينية التي كانت تمتاز بها حلب .

وقد عثر في قلعة حلب على جزء من كتابة مسمارية كانت تحيط بطاولة حجرية مربعة للتقدمة ، ويرجع عهد هذه الكتابة الى ما يقارب القرن الثامن او السابع عشر قبل الميلاد . وهي تذكر الآله شمش والآله دجن ، ونضيف الى ذلك ، القطعة من الحجر البركاني الأسود التي تمثل رب العدل الآله شمش هذا الأثر الذي عثر عليه في قلعة حلب المقتلع من بناء ضخم ربما كان معبداً للاله شمش . وان شمش وحدد كلاهما يعرفان سابقاً كآلهة كاشفة عن المستقبل حتى انه اطلق على كل منهما اسم سيد النظر . ويتحتم علينـا اذن ان نقول ان حلب كانت مركز الالهين حدد وشمش وأنها كانت تعد من المدن التي يشخص اليها كل من رغب في معرفة مستقبله أو مستقبل ملـكه .

ولم تنقص مكانة آلهة حلب العظـام في ايام المبتانيين حيث اطلق على حدد اسم تيشوب الحلبي وعلى عشتار اسم هيبت الحلبية (٣) .

وتذكر الرقم الحثية التي عثر عليها في حاتوشاه (بوغازكوي) عاصمة الحثيين حدد مراراً وتسميه باسم إله الرعد الحلبي . ولم تعقد معاهدة أو مقاولة بين الحثيين وأتباعهم او حلفائهم

---

(١) G. Dossin : Revue d'assyriologie XXXVIe vol. 1 Iamhad et Qatanum, ص ٤٩

(٢) G. Dossin : Syria 1938, fasc. II. Les archives épistolaires du palais de Mari, ص ١٥١

(٣) راجع المصادر التالية :

E. Forrer : Zeutch, der deutchen morgent gessellschaft, LXXVIe, ص ٢٢٦

Dhorme : Syria 1927, la plus ancienne histoire d'Alep, ص ٤٠

E. Forrer : Die Boghazkoï text in Inschrift I, ص ٢٦

او الخاضعين لهم الا ويذكر فيها هذا الرب كضامن وشاهد عليها . ومن هذه المعاهدات المعاهدة الكبرى التي أبرمت بين مصر وبلاد الحاتي . وقد سماه الحثيون اله الرعد الحلبي ، كما سماه المصريون سوتيخ الأرض . وقد اتخذ كشاهد وضامن أيضاً في المعاهدة التي أبرمت بين الملوك الحثيين وملوك حلب [١] . والأمثلة على ذلك كثيرة .



شكل ١ — النصب الذي وجد في بابل
وهو يمثل الآله سانتاس الحلبي

ولم يفقد الاله حدد مكانته بعد انهيار الأمبراطورية الحثية ، فقد سمي في العهود السورية الحثية سانتاس الحلبي وتاكوند الحلبي .

ويدل على ذلك النصب الذي وجد في بابل . ويرجع عهده الى القرن التاسع تقريباً قبل الميلاد ، وهو محفوظ في متحف انقرة ويبلغ ارتفاعه (١٢٨ سم) ، وعرضه (٥٣ سم) ، وسمكه (٣٥ سم) ، وهو من الحجر البركاني الأسود وقد مثل عليه سانتاس اوتاكوند . ويرى واقفاً ولابساً ثوباً حثياً قصيراً منتهياً الى الأسفل بضفائر ، ومنتعلاً الحذاء ذا الرأس المعقوف المعروف عند الحثيين ، ومتمنطقاً بالزنار العريض الذي يتدلى منه السيف ذو القبضة المنتهية

(١) انظر المصدر السابق .

بشكل نصف هلال . ويقبض بيده اليسرى على الصاعقة ذات الشعب الثلاثة المنفردة والمتموجة . ويده اليمنى الفأس ذات الحد الواحد . وقد أسبلت على صدره لحية كبيرة مضفورة . كما تتدلى على ظهره ضفيرة كبيرة ترى منحدرة من رؤوس كثير من الأشخاص التي تمثلهم التماثيل الحثية . وعلى رأسه قبعة مخروطية الشكل تنبت منها القرون الالهية وتنتهي القبعة بشكل كرة . وعلى ظهر هذا النصب كتابة هيروغليفية تعلمنا أن باني هذا النصب ملك ذو نسب يدعى للاس (وهو ملك حلب) وقد نذر إلى سانتاس الحلبي ابنه ووهبه جميع مالابنه من مال [1] .

وفي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد فتح سلمنصر الثالث ملك آشور حلب سلماً ، ورأى أن من واجبه أن يصعد إلى التل ويستميل اله حلب الشهير حدد الذي يسميه رمّان بتقدمته القرابين إليه [2] .

ووجدت في قلعة حلب أثناء الحفريات التي قام بها متحف حلب على نفقة بلدية المدينة قطعة من الحجر البركاني الأسود من هذا العهد . وقد مثل عليها المعبود شمش بقرص مستدير يرتكز على هلال . وشكل هذه القطعة متوازي المستطيلات . ويبلغ ارتفاعها (٩٥ سم) ، وطولها (١٫٣٠ م) ، وعرضها (٩٥ سم) . ولم ينحت منها سوى وجهها الأمامي ، وقد صقل وجهها السفلي ليمكن وضعها على بناء أو قاعدة ما . ويلاحظ أنها وجدت بالقرب من حائط حثي قديم . ويظن انها استخرجت منه واستعملت كقاعدة لبناء حائط عربي يرجع عهده إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد . أما ما نقش عليها فانه يمثل قرص الشمس داخل الهلال ، والشمس (آله العدل) ممثلة بقطر مستدير تنحدر منه أشعة تشبه صليباً ذا أربعة

---

(١) راجع المصادر التالية :

Koldewey : Das Wieder erstchende Babylon, ص ١٦٢ ، وصورة رقم ١٠٣ .

H. Schäfer und W. Andrae : Diekunst des Alten, Orients : Berlin 1925 ص ٥٥٨و٦٦٦

L. Delaporte : Les Hittites; Paris 1936. ص ٣٣٢

O. Weber : L'art hittite. صورة رقم ٦

E. Cavaignac : Le problème hittite Paris, 1936. ص ١٦٢ – ١٦٣

G. Conteneau : La civilisation des Hittites et des Mitanniens, Paris 1934. ص ٢٥٠

Babylionica IX. اللوحة الرابعة

(٢) ص ٢٤٢ Soberheim : Encyclopédie de l'Islam ; art, Halab.

اغصان متعادلة الطول وبينها أربعة أغصان متموجة تتدلى من زوايا الصليب . وكلها داخل اطار مستدير يرتكز على الهلال (المعبود سين) اله الوقت ووالد الشمس الذي يلتف حول النصف السفلي للشمس .

وجعل النحات حول هذين الكوكبين شخصين مجنحين ، يمثل كل منهما جنياً يقابل أحدهما الآخر كأنهما يتضاربان . وقد رغب النحات أن يمثلهما في حال الركض والطيران كأنهما يصحبان



شكل ٢ — القطعة التي وجدت في قلعة حلب
وهي تمثل الاله شمس وحوله جنيان مجنحان

الشمس بسيرها . فجعل يدي كل منهما مطبقتين الواحدة تحت الهلال والثانية حذاء صدريهما ، ولهما جناحان مفتوحان الواحد مرتفع إلى الأعلى والثاني متجه إلى الأسفل .

أراد النحات الفنان أن يمثلهما وهما يضربان الهواء أثناء طيرانهما ، ولذا جعل قضيباً صاعداً باستقامة الجناح وموازياً له يمثل خفقـانه . وعلى رأس كل من هذين الجنيين قبعة مخروطية الشكل منتهية بانتفاخ كروي تتدلى منه خمسة خيوط ، وتنتهي القبعة في الأسفل بانحناء كأنها

تمثل القرون الآلهية ، ومن وراء الرأس من تحت القبعة تتدلى جديلة شعر مستديرة .

ويرتدي كل من هذين الجنيين رداءاً قصيراً ينتهي بضفيرة كبيرة فوق الركبة عند الساقين . وله لحية كبيرة تنتهي بشكل مربع . وفي خصره نطاق عريض يتدلى من ورائه شريط يشبه الذنب . أما أرجلهما وسوقهما فعارية ، وتنتهي أقدامهما بالانحناء المعروف لدى الحثيين . ولا شك أن هذه القطعة تدل دلالة واضحة على وجود معبد هام للاله شمس في حلب ، وأنه كانت توجد مكانة رفيعة للاله حدد فيها . وهـذا ما يدعو لأن نعتبر المدينة مركز الالهين حدد وشمش . وانها كانت مقر معرفة المستقبل والكشف عنه .

وقد بدأت مكانتها بالتأخر شيئاً فشيئاً في العهود الآشورية والبابلية والفارسية . غير أن شهرة آلهها لم تزل . حتى أنه وجد في مدينة (آشور) عاصمة الآشوريين ما يدل على وجود معبد خاص بآله حلب الذي سمي عند الشعوب السورية الحثية باسم سانتاس وتاكوند كما ذكرنا . ويستدل ذلك أيضاً من العثور في مدينة آشور على جزء من كأس مرمري عليه كتابة هيروغليفية حلها الأستاذ جلب Gelb الأميركي وهذا نصها : « .... باس صنع هذا الكأس وقدمه الى (المعبود) تاكوند الحلبي » (١) .

كما وجد من العهد نفسه وفي المدينة نفسها عدة كتابات تذكر الآله تاكوند الحلبي وتمجده (٢) .

وانتقلت هذه المكانة الدينية الممتازة في آخر العهد الفارسي إلى مدينة (مابوغ) أي منبج الحالية الواقعة شرقي حلب حيث انتقلت اليها شهرة الآله حدد ، حتى أن كاهنها الأكبر وحاكمها سك النقود فيها وسمى نفسه عبد حدد (٣) . ولما جاء العهد الهلنسقي علت مكانة الآله حدد ومكانة الآلهة هيبت أي عشتار في هذه المدينة . وسمي حدد باسم (زوس Zeus) ، وعشتار باسم (اتاركاتيس) وقد لقبت بإلهة الحب . وكان يؤمها بعد أن سميت باسم (هيرابوليس) أي المدينة المقدسة أناس كثيرون من جهات متعددة لعبادة هذه الآلهة السورية الشهيرة . ومع هذا فقد ظل نفوذ الآله حدد والآلهة عشتار في حلب شديداً . وقد قدم جوليانوس حين مروره بها

---

(١) ص ٦٧ J. Gelb : Hittite hiéroglyphs, I — Chicago 1931.

(٢) ص ٦١ » » » III — » 1912

(٣) ص ٤٧٥ R. Dussaud : Topographie historique de la Syrie antique et médiévale.

القرابين الى زوس Zeus الحلبي والى اتاركاتيس Atargatis قرينته . وأخيراً فان كزينوفون Xenophon يحدثنا عن الطيور المقدسة وعن الأسماك المقدسة في نهر (خاليس) أي القويق الحالي [1] .

وكان ذلك آخر وثبة للوثنية القديمة التي اضمحلت بعد جوليانوس أمام دين المسيحية الجديد المنتشر في سائر البلاد الشرقية .

صبحي صواف

(١) س ٣٠ J. Sauvaget : Alep — Paris 1941.